إحياء الدين – الحل الوحيد للقرن الواحد والعشرين

أ.د / نعيم طرفانه

رئيس المشيخة الإسلامية

كوسوفو

أيها العلماء الأفاضل

الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

إن الأمة الإسلامية اليوم تمر فى أوقات عصيبة على المستويين الفردى والعالمي، إن الحروب والجوع والكوارث والمكر الذى يمكرونه فى السراء والعلن أدت بهذه الأمة إلى وضع لا تحسد عليه. و الظاهر والله أعلم أنه لا يوجد مكان اليوم لا يُظلم فيه مسلم و لا يُهاجَم، و لا يُذَل أو حتى يُقتّل أشد قتل، وترتكب فيه أبشع الجرائم. كما لا نجد جزءًا من الأمة الإسلامية فى العالم، لم يصبها كارثة أو مشاكل عصيبة فى جميع مجالاتها. و الذى يظهر جليا أن الكثير من المسلمين محرومون من أبسط حقوقهم: حق الحياة، والحرية، والاستقلال، و الأمان، والهوية، والثقافة والتعليم.. وإلخ.

إن هذا الوضع يشبه الوضع الذى وصفه الرسول ﷺ فى كثير من أحاديثه، و يصف الأمة بصفات مثل: حب الدنيا ، وتقليد أقوام، وهجر القرآن والسنة، وما يشابه ذلك. و فى الحديث التالى وصف للحال التى تمر بها الأمة حاليا. يقول الرسول ﷺ: "**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**" ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: " **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن**" ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : "**حب الدنيا ، وكراهية الموت.** " أخرجه أبو داود.

إن هذا الحديث يصف بدقة حالتنا اليوم، إن المسلمين اليوم مفرقون فى العالم كما هو حال غثاء

السيل، و أصبحوا غنيمة سهلة لكل أعدائه والماكرين له. لذا لم نسم هذا الزمان زمن وهن سدى، لأن الرسول ﷺ وصفه بذلك، و يؤكد ذلك أن كل ما هو إسلامى و له صبغة إسلامية فإنه ضعيف وغير مستقر وغير منظم.

إن هذه هى حال الأمة اليوم، فهى بدون هدف و غاية واضحة تسعى لتحقيقها، لذا فهى لا تستطيع أن تستغل جميع خيراتها التى وهبها الله عزّ وجلّ.

إن الأمة الإسلامية و منذ قرنين تقريبا تواجه هجوما من قبل مفاهيم و حضارات أجنبية هزّت أركان الإسلام، واستطاع هذا الهجوم أن يخفى و يشوه الكثير من الإنجازات والجهود التى قدمتها الحضارة الإسلامية للإنسانية، والمتراكمة عبر قرون. وإن كان الكثير من البلدان الإسلامية قد نالت استقلالها السياسى منذ عقود لكن لا يزال هناك تأثير فلسفى ، وسياسى، و ثقافى ، واقتصادى ، واجتماعى، و السيطرة الغربية تظهر بأشكالها المختلفة فى جميع "دار الإسلام" مهددة بذلك، ليس فقط المؤسسات التراثية للمجتمع المسلم، بل حتى عقيدته. جميع المجالات من الأسرة إلى الدولة، من الاقتصاد إلى الهندسة، من الأدب إلى الطب، كلها تتأثر بمفاهيم أجنبية، و التى نشأت على تراث مكون فى الغرب و تم نشره فى القارات الأخرى، كما أنها فرضتها على العالم الإسلامى و شعوبه.

ففى القرن الماضى لم يتعرض شعب من الشعوب إلى التقسيم و التفرقة والإهانة كما حدث للمسلمين، لقد تعرضوا للإهانة، و الجرائم، و سرقة الممتلكات، والتهجير. تم خذلهم واستعمارهم وتم إبعادهم عن دينهم. ولقد حدث هذا فى كل عالمنا الإسلامي. ومع أن المسلمين فى ذاك ضحية الظلم و الاضطهاد، إلا أن الكثير من الشعوب نظرت إليهم نظرة احتقار. والصورة اليوم فى وقتنا الحالى سيئة للغاية، فوسائل الإعلام ترسم المسلم اليوم انه : عدائي، إرهابي، أصولي، همجي، لا يحترم القوانين، متخلف إلخ. من تلك الصفات الذميمة. وهو هدف الكراهية و الإهانة من قبل غير المسلمين سواء كانوا من شعوب متحضرة أو غيرها، رأسمالية أو ماركسية، من الشرق أو الغرب.

والمشكلة أن الأمة الإسلامية لا زالت تنزف دماء، و ما أن يغلق جرح حتى يفتح جرح جديد فى هذه الأمة قبل أن يبرأ الجرح القديم، و قبل أن تهدأ حال إخوان فى جزء من العالم نجد إخوانا فى طرف آخر يتعرضون للإهانة والظلم. بكاء اليتامى، و آهات الأرامل، تحرق قلوب المؤمنين، إن مناظر القتل و الجرائم المهينة تدفع دمعة بعد دمعة (ولا حول و لا قوة إلا بالله). يذبح المسلمون اليوم فى كل مكان كما تذبح النعاج، و تسيل دماؤهم أنهارا فى كثير من الأماكن، و ذلك أمام مرأى و مسمع العالم، الغربى منه و الشرقي.

هذه الكلمات لا تهدف إلى إشاعة الذعر و الخوف و الحسرة، لكنها كلمات تعبر عن وضعنا الحقيقى اليوم. إن ما حدث فى غزة و الشعب الفلسطينى لهو أقرب مثال على واقعنا المر، إن ما حدث ويحدث فى فلسطين ليس حلما وإنما حقيقة، إن غزة هى عار للعالم أجمع، وجرح مستمر لأكثر من ستين عاما فى جسم الأمة الإسلامية. إن ما يحدث اليوم للمسلمين حروب حياة أو موت، بقاء وهلاك.

إن جذور هذه الحرب تعود إلى عمق جذور التاريخ، حيث بدأ سقوط المسلمين وضعفهم. عندما فقد الإسلام مكانته فى الحياة العملية لدى المسلمين، حينها بدأ سقوط الحضارة و الثقافة الإسلامية،إن سقوط بغداد وهجوم المغول قضى على سبعة قرون من قيادة العالم حينئذ. وطغت فترة هوان ونوم على أمة كانت فى عزة ومنعة.

الأمة فى امتحان

تمر الأمة اليوم بامتحان، وتتحمل الشعوب والدول الإسلامية مسئوليات كبيرة تجاه هذه الحقائق، تمر الأمة بمرحلة مهمة وحرجة فى تاريخها. إن تحمل المسؤولية والشعور بها تجاه هذه الحقائق تعيد الصفحات فى كتاب تاريخ الأمة وتسطر صفحات قوة وعز جديدة للمسلمين على الصعيد النفسى والمعنوى للعالم الإسلامي. إن الغرب اليوم والذى ساهم كثيرا فى تخلف بلدان المسلمين يواجه اليوم مشاكل كثيرة تتطلب حلا. إن التأثير السلبى للتعلق بالمادة يزيد يوما بعد يوم، الأمراض المزمنة و التى كانت مغطاة بالتقدم الصناعى تظهر بشكل سريع و تنبئ بكوارث أليمة. ونجد هناك اتجاهًا لإحياء الإسلام على وجه، وتظهر علاماته فى شتى بقاع العالم الإسلامي. إن نور الآمال قد أنارت شباب الأمة فى العالم. إن النظرة الغربية المعادية و السيطرة الغربية بدأت تؤول إلى السقوط، و ذلك يتحقق بتضحية الآلاف من الأنفس فى سبيل العزة والكرامة. لذا فإن الطريق طويلة و صعبة لكنها آمنة بإذن الله.

إن السلاح الذى يستخدمه العدو و الذى يشعر بخطر مصالحه، فى صد هذه الصحوة، هو سلاح نفسي، وهو خلق حالة اليأس، و إضاعة الهوية للشعوب الإسلامية، وتدمير القوة المعنوية والمادية، ويعمل فى ذلك المئات من وسائل الإعلام، و سيستمر عملها فى الغد فى سبيل جعل الأمة تيأس حيال مستقبلها المضيء، وجلبها إلى مستقبل يتناسب مع مصالحها وأهدافها التى لا تخدم الأمة الإسلامية.

إن هذه الحرب النفسية و الثقافية جعلت الغرب يسيطر على بلدان إسلامية، و تهدف هذه الحرب الرؤوس و القادة العلماء و المثقفين و من بعد عامة الناس...

أن الغرب قد أعلن أهدافه فى توسيع السيطرة و فرض نفسه على العالم الإسلامي، و أظهر خطته فى تقسيمه وتفرقته؛ حيث نشر مخططات جديدة فى إعادة بناء الحدود و الهوية، بل فى إعادة طريقة التفكير والحياة لدى المسلمين. و نشر العديد من التقارير والخطط فى تقسيم وإعادة بناء الأنظمة الحاكمة وتكوين مجتمع إسلامى على الطريقة الغربية، ووضع العالم الإسلامى تحت التحكم القوى للغرب فى سبيل ضياع الهوية و المجتمع المسلم. وظهرت هذه الخطط جلية فى الهجوم الغربى على المناهج الدراسية و المطالبات بتعديلها، و الكارثة الكبرى ستحدث فى حال لم تتدارك الأمة شعوبا و حكومات و قادة فى اتخاذ خطوات جادة للتقارب بين أفراد الأمة تفاديا للخطر. وعليهم ألا تقلقهم انتقادات، لكن عليهم بالسعى إلى رضا الله، وأن يكون له الأولوية وليس الاستسلام للغرب.

أين تكمن المشكلة؟

إن أمتنا اليوم تتقلب بين التطرف فى الجانبين، تطرف يذوب كما تذوب الرغوة، لا أثر له، تتقاذفه مفهومات غير إسلامية، و تأخذ صبغة غير إسلامية تغلقه على نفسه حتى يتم فقد الهوية، وتطرف فى جانب ينقاد وراء الجنون وعدم التفكير فى العواقب دون قيود.

إننا لا نعى أن المشكلة ليست فى وحدة و قوة أعدائنا وإنما فى عدم التخطيط وعدم التوحد بين المسلمين، وإننى خائف عندما أتذكر قول أحد مفكرينا : إن القوم الذين ينامون فى نوم عميق وطويل لا توقظه إلا هزات قوية. إن الذين وقعوا فى التطرف الأول و ناموا وذابوا ،إنهم يقودوننا إلى طريق النسيان، والذين فى طرف آخر يقودوننا إلى الهلاك. إننا اليوم نفتقد قوة الحق التى ستعيد الهوية و القوة و التنظيم الجيد، وتقوّم التفكير الإسلامي.إن قوة المسلمين تكمن داخلهم وخارجهم، أما فى داخلهم فهى العقيدة و فلسفة الحياة، وأما خارجهم فهى فى موقعهم الاستراتيجى وقوتهم الاقتصادية والاحتياطى المهم الذى لديهم... ولكن تنقص قوة الإرادة والسلطة. و لتحقيق ذلك فإننا نحتاج إلى زيادة الوعى ، والمثابرة، والتضحيات، وقوة الترابط مع هذا الدين "الإسلام" وضرورة تقديمه كمهمة عالمية تتحقق من خلال دعاية عالمية وعن طريق الثورة المعلوماتية المتاحة.

إن تقديم الدين الإسلامى كدين عالمى مهمة أساسية أمام المسلمين، وإن كان هذا هو عصر العولمة فإن الإسلام بعالميته قادر على أن يتسلم قيادة العالم بجدارة. لكن هل الأمة قادرة على تحمل هذه المسئولية فى هذا الوقت العصيب الذى تمر به الأمة؟ هل الأمة الإسلامية قادرة على تحمل الأمانة التى حملها الله عزّ وجلّ والتى من خوفها رفضتها الأرض والسماوات؟ فالأمة لا تستطيع

الاختيار بين الحرية والعبودية، لأن الحرية هى حظها ومصيرها. لابد أن تسلك طريق الإسلام لأنه لا سبيل آخر و لا حل آخر، إن كل الطرق الأخرى مغلقة وكل الخيارات نفدت. و على الأمة أن تنهض وتتقدم إلى الأمام من أجل الإنسانية. وعليها أن تختار طريقها الوسط، فالإسلام اليوم عند المسلمين يبدو لى أنه واقع بين التفعيل الجيد القوى و بين التثقيف والتحضر المجهول.

ما هو الواجب أمامنا؟

إن المسلمين اليوم إذا قرروا ذلك يمكنهم العودة إلى المجد والعز ، وإن كانت هذه الطريق صعبة وخطيرة، لكن إن زاد الوعى بالمسئولية و الواجبات وتم مراعاة الأولويات، وعلى ذلك تم التنظيم الجيد مستخدمين بجانب قوة العضلات قوة الحق والدليل والإقناع والتخطيط الجيد للتطور العالمى للأمة، حينها يمكننا الثقة بعودة المجد مرة أخرى على الساحة. إن إرثهم التاريخى والحضارى وماضيهم حافل فى العلم، ويبعث الأمل فى إيقاظ المسلمين من سبات؛ لإعادة مجد أجدادهم بعز وكرامة.

علينا بداية و قبل كل شيء إعادة بناء الفكر و التفكير، إننا بحاجة إلى تجديد التفكير وروح النظر إلى الحياة. و لن يتغير شيء فى حياتنا حتى نتغير فى داخلنا، ويؤكد لنا ذلك القرآن الكريم وجربنا ذلك بدمائنا، إننا رأينا أن الضعيف يحتاج إلى القوة و لا يحتاج إلى رحمة وإنسانية، لذا نهضتنا يجب أن ترافقها قوة السببية لا الدموع و الحسرة. ونحقق ذلك من خلال بناء قوة دنيوية لدينا، وأن يكون عندنا الكثير من الأمور الدنيوية لا تنافى العمل للآخرة، وإنما المهم طريقة التصرف فى القوة الدنيوية. والسؤال المطروح اليوم ليس فقط لنا نحن الألبان وإنما لجميع الشعوب الإسلامية، هو: هل سنجد أخيرا مكانا فيه عز فى وقتنا الحاضر؟

إن الإسلام يعلمنا أن نعمل لدنيانا وأن نؤمّن ظروفا أفضل لصلواتنا، وصيامنا، ومواليدنا، وثقافتنا، و ديننا عموما. إن الفقير و الأعمى يعطيهم الله عزّ وجلّ الرحمة فقط، و يعطى العامل المُجِدّ الناجح القوة و العون فى هذه الدنيا و فى الآخرة ففى الحديث :"**إن المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و فى كل خير**".

وبالاختصار فإننا إن أردنا الحصول على الهوية لا بد أن نبذل قصارى جهودنا ، وبخطوات عظيمة والتى تهدف إلى الدفاع عن حقنا فى تقرير المصير الثقافى فى عصر العولمة الحالي. وهذا يتطلب كما أسلفنا سابقا إلى تجديد الفكر و التفكير، و تطبيق الإسلام إلى درجة تقف معها الأمة بقوة وثبات فى مواجهة التحضر فى جميع المجالات: فى التعليم، والاتصالات، والعلوم السياسية، والاقتصاد، والحقوق، والتكنولوجيا.

لذا على المسلمين القيام بخطوة كبيرة فى السيطرة على الوضع الحالي، وأود أن أذكر هنا المجالات التى يمكننا اتخاذ هذه الخطوة بها، وفى هذا المجال أشير إلى المفكر الألمانى الكبير الذى أسلم، الأستاذ مراد هوفمان، والذى يقول: "أريد التوضيح أننى لا أدعو إلى التراجع الذى سينال من مبادئ الإسلام القرآن كلام الله و السنة الصحيحة للنبى ﷺ، ليس الهدف أن ينصاع الإسلام لمتطلبات العصر، ولكن أن يطبق بالطريقة التى سيتأكد بها الجميع من سعة الإسلام لهذا العصر، والغربيون كذلك، الذين لديهم مواقف مواجهة تجاه الإسلام."

وليصبح الإسلام فى طليعة الأديان عالميا فى القرن الواحد و العشرين أرى أنه من الضرورى أن يهتم المسلمون بالمجالات التالية:

- التعليم و التكنولوجيا.
- حقوق الإنسان.
- نظرية الدولة والاقتصاد.
- البعد عن النفاق والخلافات.
- الاتصال العالمي.

لا نريد أن نعطى الإسلام وجها مجمّلا ليبدو جميلا، نحن نريد الإسلام أن يكون الإسلام عمليا، سهلا ، و سلسا، و مطهرا من جميع الشوائب . وعلى وجه خاص هذا يعنى أننا لن نخلط بين:

- الدين و الحضارة الإسلامية.
- الأصول و الفروع.
- التراث و التقليد.
- الأحاديث الصحيحة و الموضوعة.
- الشريعة و الفقه.
- القرآن و السنة.

إن على العالم الإسلامى أن يستيقظ من سباته الفكرى والاجتماعى، والذى تسبب فيه الانحراف فى العقيدة والتطبيق العملى الذى تحول إلى عادة. إذن أين سيجد المسلمون اليوم الدافع الروحى والفكرى؟

المسلمون فى الحقيقة فقدوا الكثير من أصول الاتصال مع العالم، لذا عليهم التوقف و العودة إلى البداية لفهم مبادئ الإسلام ، وهى أن نُفهم العالم أن الإسلام فى حقيقته هو سلام للعالم، و إلا أصبح الكلام فارغا وغير نافع حتى للمسلمين أنفسهم. القرآن يعلمنا أن المؤمنين إخوة وهذا مبدأ من مبادئ الدين، ولا جدال فى ذلك. وإن أردنا السلام فإن علينا أن نحارب من أجله فى أوساطنا أولا، ومن

ثم بين الآخرين.

وإن المسلمين أولا، ومن ثم العالم ثانية، بحاجة اليوم إلى هذا المفهوم ، إن استطاعت الحيوانات على الأرض أن تعيش رغم كثرتها و تنوعها فلم لا يستطيع أن يعيش ستة مليار إنسان فى سلام و أمان؟ وبالطبع أنهم قادرون على التعايش فى حال فهم العالم أن الكون لا ينبغى أن تحكمه حق القوة بل قوة الحق لجميع البشر؛ لأننا نعيش فى عالم لا يمكن لبعض أن ينعم بسلام و يعيش الآخرون الخوف، فإما أن ينعم الجميع بسلام أو لا. وإن الأمل فى غد أفضل يغلب الخوف، والخوف من حياة أسوأ يفقد الأمل. والدافع الرئيسى فى الأمل نابع من عقيدته وإيمانه، والخوف يظهر من نقصهما.

وفى الختام:

إن وجود الأمة الإسلامية فى شتى بقاع العالم إنما هو علامة حق و واقع، وإن كل فرد من هذه الأمة سواء كان مولودا جديدًا أو شيخًا راحلا من الدنيا يشهد للعالم أن بعد القوة المادية القوة السماوية و بعد الحياة العابرة تأتى الآخرة، إن هذا المعنى يلمس أذنى المولود الجديد و يودع الشيخ الراحل خلال رحيله عن الدنيا، وهى كلمات الشهادة.

إن الأمة اليوم بحاجة إلى صحوة و بحاجة إلى حرية للشعوب الإسلامية بناء على الأسس الإسلامية، و بعون الله تعالى ستخرج الأمة من هذا الظرف الصعب ، من الضعف المحزن إلى قوة العز و الكرامة، والتى تأخذ الأمة إلى قيادة العالم من جديد.

– حان الوقت يا أمة محمد أن تظهرى نور حراء و أن تبتعدى عن الخلافات و النزاعات، و أن تدعمى خير الإنسانية.

– حان الوقت يا أمة محمد أن تأخذى دورك فى تحمل المسئولية، أن تحكمى العالم بالمحبة و الخيرية كما فعل ذلك حبيبنا محمد ﷺ.

– حان الوقت يا أمة محمد أن تنهضى من نوم الضعف والهوان، وتستيقظى من الأمية، لأن أستاذك أمرك بالعلم و القراءة و التفكير.

– حان الوقت يا أمة محمد أن تخرجى من الفقر لأن خالقك أمرك أن تتقاسمى ما وهبك مع الآخرين.

– حان الوقت يا أمة محمد أن تتسلمى زمام القيادة، وأن تكونى مثالا يحتذى لجميع الإنسانية.

وفى الختام اسمحوا لى أيها الحضور باسم جزء من هذه الأمة، باسم شعبى الكوسوفى المسلم و الذى بدأ خطواته الأولى فى طريق العز و الكرامة بإعلان استقلاله فى ٢٠٠٨/٢/١٧م، منهيا بذلك

أكثر من تسعين عامًا من الظلم و الضعف والهوان اسمحوا لى أن أتوجه إليكم جميعا و إلى سيادة الرئيس حسنى مبارك قائد الأمة بنداء بالاعتراف بجمهورية كوسوفو، فسكان كوسوفو ٩٥% من المسلمين ونحن جزء من هذه الأمة الإسلامية و ننتظر منها مساندتها و الوقوف بجانبنا.